الإيمان بالله عند الصّابئة المندائيين
(رؤية نقديّة إسلاميّة)

بحث مقدم من

الأستاذ الدكتور عباس فائق إبراهيم

الباحثة

مريم أياد عبد المنعم مكي

Belief in God among the Mandaeans

(A Critical Islamic Perspective)

Research submitted by

Professor Dr. Abbas Faiq Ibrahim

Researcher Maryam Ayad Abdul-Moneim Makki

الملخص

إن الغاية من جميع الأديان ، ورسالة جميع الأنبياء والرسل عليهم السّلام، هي أن يعرف الناس إنّ لهذا الكون إلهًا واحدًا، مالك الملك، خالق كل شيء والقادر عليه، وأنّه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو الذي يجب أن يتوجه إليه بالعبادة دون غيره، لهذا الغرض بعث الله عزّ وجل أنبيائه كل منهم يدعو إلى وحدانيته تعالى وتنزيهه، وإن سبحانه وتعالى مخالف لكل المخلوقات، وغير مشابه لها، فجميع الرسل والأنبياء قاموا بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، وفي هذا البحث بينت عقيدة الصابئة المندائيين من حيث إيمانهم بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته تعالى، مع التعليق على هذا الاعتقاد برؤية نقدية إسلامية، كونهم جمعوا بين نقيضين هما التوحيد والشرك، في قولهم أن خالق هذا الكون ومدبره هو الحي، وفي الوقت ذاته نسبوا أفعال الخلق وتدبير شؤون الكون لغيره، وصرفوا مظاهر العبادة للأثريين من الملائكة دونه تعالى، مع الالتزام بتخصيص أسماء حسنى له ، ووصفوه بصفات فضلى، فبينت جميع ذلك في هذا البحث.

almulakhas:

ʻiina alghayat min jamie alʼadyan , warisalat jamie alʼanbiaʼ walrusul ealayhim alsslam, hi ʻan yaerif alnaas ʻin lihadha alkawn ʻilhan wahdan, malik almaliki, khaliq kula shayʼ walqadir ealayhi, wannh wahid fi dhatih wasifatih waʼafealihi, wahu aladhi yajib ʻan yatawajah ʻiilayh bialeibadat dun ghayrihi, lihadha algharad baeath allah ez wajala ʻanbiayuh kulun minhum yadeu ʻiilaa wahdaniatih taealaa watanzihihi, waʼiin subhanah wataealaa mukhalif likuli almakhluqati, waghayr mushabih laha, fajamie alrusul walʼanbiaʼ qamuu bialdaewat ʻiilaa tawhid allah taealaa, wafi hadha albahth bayanat eaqidat alsaabiat almindayiyiyn min hayth ʻiimanuhum birububiatih waʼuluhiatih waʼasmayih wasifatih taealaa, mae altaeliq ealaa hadha alaietiqad biruyat naqdiat ʻiislamiatin, kawnuhum jamaeuu bayn naqidayn huma altawhid walsharka, fi qawlihim ʻana khaliq hadha alkawn wamudabaruh hu alhayi, wafi alwaqt dhatih nasabuu ʻafeal alkhaluq watadbir shuuwn alkawn lighayrihi, wasarafuu mazahir aleibadat lilʼathariiyn min almalayikat dunah taealaa, mae alailtizam bitakhsis ʻasmaʼ husnan lah , wawasafuh bisifat fadlaa, fabayanat jamie dhalik fi hadha albahthi.

المقدمة

إنّ الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدهِ اللهُ فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ. أمّا بعد:

إنّ عقيدة الإيمان بالله من الأصول التي تستند إليها الديانات السماوية جميعًا، وهي عقيدة أساسية في ديانة الصابئة المندائيين، وقد ورد ذكرهم في القرآن مقترنًا بالأديان السماوية مع ذكر أصول الإيمان الثلاثة (الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والعمل الصّالح).

خطة البحث :

قمت في هذا البحث بتفصيل اعتقاد المندائيين بالإله من حيث ما يتضمنه مفهوم الإيمان بالله من حيث الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته تعالى

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد عرّفت فيه الصابئة المندائيين وأربعة مطالب: جعلت الأول منها لبيان معنى الربوبية عندهم من حيث الخلق والتدبير والرزق وغيرها من مظاهر الربوبية المعروفة وبحسب ما جاء في كتابهم المقدس الكنزا ربّا ، ومن ثم بينت في المطلب الثاني مفهوم عقيدتهم في الالوهية ، وجعلت المطلب الثالث لبيان مفهوم الأسماء والصفات بحسب ما جاء في كتباهم المقدس وبشكل مفصل، ثم اختتمت البحث بمطلب أخير خاص فيه نقد من وجهة نظر إسلامية بينت فيه مفهوم الإيمان بالله لدى المسلمين.

الخاتمة :

ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في نهاية البحث، وانتهيت بقائمة للمصادر والمراجع التي استندت إليها في رحلة بحثي هذا.

فهذه بضاعتي المُزجاة بين أيديكم فإن أخطأتُ فمن نفسي، وإن أصبتُ فبفضل الله وتوفيقهِ. وصلّى الله على محمدٍ وعلى آله وصحبهِ وسلّم

التمهيد
التعريف بالصابئة المندائيون

أولًا: الصابئة المندائيون لغة.

تعددت الأقوال في اشتقاق لفظة الصّابئة، هل هي مشتقة من أصل عربي أم عبري أم مندائي آرام[(١)]؟، قيل إنّها اشتُقَت من الفعل العربي (صبأ) يقال صَبَأَ يَصبَأُ صَبأً وصُبُوءًا، ومعناها خرج من دينٍ إلى دينٍ، وكانت العرب تسمي المسلمين بالصُّباة باعتبارهم خرجوا من دين آبائهم إلى الإسلام[(٢)] .

وقيل إنّها مشتقة من (صباووث) العبريّة، وتعني جند السّماء، وفي ذلك دلالة على عبادتهم للكواكب[(٣)].

وقيل هي ذات أصل مندائي آرامي مُشتقة من الفعل (صبا) بمعنى غطس أو تعمّد، فكلمة (صابئين) في الآرامية تعني المُغتسلة[(٤)]. ووافقت هذا الرأي الليدي دراوور[(٥)] كذلك نولدكي[(٦)] حين قال إنّها مشتقة من صبِّ الماء، وصبُّ الماء هو شعيرة التّعميد عندهم فهم يتعمدون كما تفعل النّصارى[(٧)]، وقد رجّح هذا القول غيرهم من الباحثين الغربيين[(٨)].

---

(١) اللغة المندائية: مشتقة من اللغة الآرامية، وهي فرع شرقي من السريانية، ولا يفهمها السريانيون لإختلاف حروفها ونحوها وصرفها. ينظر: مجلة المقتطف، العدد الثاني، مقال بعنوان: (الصابئة والصابئون) نشر في تاريخ ١ فبراير ١٨٩٩، ص٨٧، ومفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ط٢(مطبعة شركة التايمن للطبع والنشر - بغداد- ١٩٨١)، ص١٧٠، والصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، سليم البرنجي، ترجمة جابر أحمد، دار الكنوز الادبية –بيروت – ١٩٩٧م)، المقدمة ، ص١٠.

(٢) ينظر: لسان العرب،محمد بن منظور الإفريقي المصري، ط١(دار صادر- بيروت)، ١/ ١٠٨.

(٣) ينظر: مجلة المقتطف،١٨٩٩، ص ٨٧.

(٤) ينظر: الصابئة المندائيون، الليدي دراوور، ترجمة نعيم بدوي، وغضبان رومي، ط٢(دار المدى للثقافة والنشر- سوريا- لبنان- العراق-٢٠٠٦م)، ص ٨.

(٥) ينظر: الصابئة المندائيون، الليدي دراوور، ترجمة نعيم بدوي، وغضبان رومي، ط٢(دار المدى للثقافة والنشر- سوريا- لبنان- العراق-٢٠٠٦م)، ص ٨.

(٦) الليدي دراوور: مستشرقة بريطانية الجنسية، يهودية الديانة. ينظر: دور المستشرقة دراور في ديانة الصابئة المندائية من خلال كتابها ومواقع الصابئة المندائيين، الدكتورة: حياة بنت سعيد باأخضر، (بحث نُشر في مجلة جامعة الأندلس، العدد٦، ٢٠١٥م)، المقدمة.

(٧) ينظر: مجلة المقتطف ١٨٩٩، ص ٨٧.

(٨) الليدي دراوور: مستشرقة بريطانية الجنسية، يهودية الديانة. ينظر: دور المستشرقة دراور في ديانة الصابئة المندائية من

وذهب آخر إلى أنّها اشتُقت من (صبغ) الآرامي، ومعناه في الآراميّة والعربيّة واحد، هو الغمس، و(صبا) و(صبغ) الآراميتين تأتي بمعنى واحد هو الغمس في الماء بقصد التطهر((١))، أما (صبأ) و (صبغ) العربيتن، ليستا بمعنى واحد، فالأولى تعني خرج من دينٍ إلى دينٍ، والثّانية تأتي بمعنى الغمس، يقال: صبغ يده بالماء إذا غمسها فيه((٢)). منهم من يرى أن الصّابئة سُمّوا بهذا الاسم نسبة إلى صابي بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس)، وصابي أخو لامك والد نوح -عليه السلام- ((٣))، وقيل هو صابي بن لامك أخو نوح –عليه السلام-((٤)). ومنهم من يرى أنّهم يُنسبون إلى رجل عاصر إبراهيم –عليه السلام- يُدعى (صابي بن ماري))((٥))، وعلقت الليدي دراوور على كلّ هذا بأنّه كلام غير دقيق((٦)).

أمّا بالنّسبة للفظة (مندائي) فهي مشتقة من (مندا) الآرامية وتعني المعرفة العُليا((٧))، فيكون معنى الصّابئة المندائيين (المُتعمّدون العارفون الدّين الحق) ((٨))، ولا يمكن أن يكون الصّابئي مندائيًا إلّا بعد التعميد (الصباغة) الذي يُطَهّره جسديًا ونفسيًا ليكون مؤهلًا لتلقي العلم والدّين فيصيرُ بعد ذلك صابئيًا مندائيًا حقيقيًا((٩)). وقيل (مندائي) تعني المُوحد ويقصدون به أحد الملائك (مندا اد هيي) لأنّه أول من نطق بالتوحيد -حسب زعمهم- فقال: (اكّه هيي واكه مارى) ومعناها: يوجد إله يوجد حي((١٠)).

خلال كتابها ومواقع الصابئة المندائيين، الدكتورة: حياة بنت سعيد باأخضر، (بحث نُشر في مجلة جامعة الأندلس، العدد٦، ٢٠١٥م)، المقدمة.

(١) ينظر: مفاهيم صابئية مندائية، ص ١٩١.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط٢ (التراث العربي- الكويت- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)، ٢٢/ ٥١٦.

(٣) ينظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الشيخ حسين بن محمد الديار بكري، (مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع- بيروت- بلا.ت)، ١/ ٦٨.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ١/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: التنبيه والأشراف، أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ)، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (مكتبة الشرق الإسلامية- القاهرة- ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م)، ص ٨٠.

(٦) دور المستشرقة دراور في ديانة الصابئة المندائية من خلال كتابها ومواقع الصابئة المندائيين.

(٧) ينظر: مفاهيم صابئية مندائية، ص٩٩.

(٨) دراسة أنثروبولوجية لطائفة الصابئة في العراق، سحر الفضة و سر الماء، صادق شهيد الطائي، ط١(المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة- ٢٠١٠م). ص ٧.

(٩) ينظر: مفاهيم صابئية مندائية، ص ٢٣.

(١٠) ينظر: تعاليم دينية لأبناء الصابئة، غضبان رومي، (دار الجاحظ- بغداد- ١٩٧٢)، ص٨.

وذهب بعضهم إلى أنّ كلمة (مندائي) اسم لمكان وهي واحة ماد التي تقع في منطقة كرمان شاه –إيران حاليًا- فاتّخذ الصّابئة هناك اسم مادائي ومانداني نسبة لهذه الواحة وبقوا محافظين عليه نحو(١٨٠٠) عام[١]، وتطرّقت دراور إلى معنى (ماد وماندا) وبيّنت أنها مشتقة من عدّة لغات جميعها تصبُّ في معانٍ متقاربة كالموطن، والسكن ، والملجأ، والهيكل، وكوخ من القش[٢]، وربّما من هذه المعاني سمّى المندائيون محل عبادتهم (مندي) [٣]

ثانيًا: الصّابئة المندائيون اصطلاحًا.

هم قوم يعتقدون أنّ دينهم أقدم دينٍ على وجه الأرض، وأنّ كتابهم المقدّس يرجع لآدم –عليه السلام- فهو المعلم الأول الذي نزلت عليه تعاليم الدّين الحق-حسب زعمهم- ومن بعده شيث بن آدم (شيتل) وسام بن نوح وآخرهم يحيى بن زكريا وهو المعلم الكبير الذي جدد دينهم[٤]

فالمندائيون لا يؤمنون بالنبوة وبالرغم من ذلك فهم يوهمون من يسألهم، ويقولون (هم أنبيائنا) والحقيقة أنّهم لا يعتبرونهم أنبياءً بل معلمين[٥]، فلقب يحيى –عليه السّلام- في كتابهم بـ(الأب والمعلم المختار والشيخ العظيم) وليس في هذا الألقاب ما يشير إلى كونه نبي[٦]

يؤمن المندائيون بأنّ الله واحد ولكنّهم يقدسون الملائكة لدرجة أنّهم يعتقدون أنّ لها تدبير في الخلق والكون وكُلُّ هذا بتوكيل من الله لأنّها كائنات مقرّبة له[٧]

وهم المغتسلة الذين يتعمّدون بالماء الجاري، وفي كتبهم المقدّسة نصوصًا تنفي صلتهم باليهود والنّصارى والمجوس وعبدة الكواكب والأصنام[٨]، منها: (بسم الله المتعالي لا أمارس طقوسي في النّار ولست يهوديًا ولا مسيحيًا ولكنّي أمارسها في الماء الجاري الذي لا يشك أحد في أن يطهرني من كل القذارات المادية والمعنوية)[٩] وفي لغتهم المندائية (نورهواسغادي مبطل

(١) ينظر: الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ص٥.

(٢) ينظر: الصابئة المندائيون، ص، ٤١-٤٣.

(٣) المندي يكون على شكل كوخ مصنوع من القصب، يُنصب بالقرب من النهرأو الماء الجاري. ينظر: صابئة حران وإخوان الصفا، محمد عبد الحميد الحمد، ط١ (الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع- سورية- دمشق- ١٩٩٨م)، ص ٢٨.

(٤) ينظر: الصابئة المندائيون، ص ١٤ ، دراسة أنثوربولوجية لطائفة الصابئة في العراق، سحر الفضة وسر الماء، ص٧.

(٥) ينظر: الصابئة المندائيون، ص ٣٢-٣٣.

(٦) ينظر: الأديان والمذاهب في العراق، رشيد الخيّون، ط٢(منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا – بغداد – ٢٠٠٧م)، ص٣٣.

(٧) ينظر: الصابئة المندائيون، ص ١٠١- ١٠٢.

(٨) ينظر: صابئة حران وإخوان الصفا، ص٢٧.

(٩) ينظر: الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ص٣٥.

باطلي) أي: النّار والسّجود لها باطل[١]،

وكذلك (لا تسجدوا للشّياطين والأصنام وآلهة الكذب)[٢]

وبعد انتهائهم من التّعميد يدعو المندائي بدعاء يقول في آخره: (نحمد الله ونعبده عبادة خالية من الأجرام السّماويّة وأنّ الشّمس نور مُسخر لنا وهي فاقدة لأيّ قدرة وعبادتها باطلة)[٣] ,أمّا تعظيمهم للكواكب فيعود لإعتقادهم بأنّها مساكن للملائكة، فالتعظيم في الأصل للملائكة لا للكواكب[٤] وكتابهم المقدس يسمّى بالكنزا ربّا ومعناها الكنز العظيم، ويسمى (سدره آدم) ويعتقدون أنّه الكتاب الذي أُنزل على آدم –عليه السّلام- وينقسم على جزأين الأول يميني والثاني شمالي، يحتوي الأول على فقرات مضمونها تكوين العالم وبدء الخليقة، وصفات الخالق وبعض الوعظ وإرشادات حول الدّين والمعتقد. أمّا الثّاني فيتضمن كل ما يخص الميّت من تلقينه ودفنه وغيرها من مراسم الجنائز[٥]

المطلب الأول :عقيدة الصّابئة في الربوبيّة

إنّ من أسباب اختياري لكتاب الكنزا ربّا والبحث فيه عن إيمانهم بالله من بين كتبهم المقدّسة الأخرى، هو أهميته وقداسته عند أتباع هذا الدين، حيث يعدونه الكتاب المقدّس الرئيس، كما أنّ الموضوعات التي تناولها جُلّها كانت تتناسب مع موضوع الدراسة ففيه الكثير من الصّفحات التي نفهم من خلالها حقيقة إيمان المندائيين بالله، ومعرفة أسمائه وصفاته، وفيه أيضًا أهم عقائدهم كالإيمان بالملائكة، ومفهوم الأنبياء عندهم، وإيمانهم باليوم الآخر، وغيرها. وقد احتوى بين دفتيه كتبًا أخرى مثل: (كتاب تعميد هيبل زيوا)، وكتاب دراشه اد يهيا (كتاب تعاليم يحيى[٦]

(١) ينظر: الصابئة المندائيون، ص ١٤.

(٢) ينظر: صابئة حران وإخوان الصفا، ، ص٢٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) ينظر: الصابئة المندائيون في التاريخ، الأستاذ الدكتور إبراهيم درباس موسى، (بحث مقدم للجامعة العراقية- كلية العلوم الإسلامية- قسم مقارنة الأديان- بغداد- ١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م)، ص١٢، الأحناف دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام، ص ١١٢.

(٥) ينظر: الصابئون في حاضرهم وماضيهم، السيد عبد الرزاق الحسني، ط٨(المكتب العربي لتوزيع المطبوعات – بغداد - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، ص ٨٣- ٩٢، والصابئة المندائيون، ص ٥٥- ٥٦.

(٦) ينظر: الأديان والمذاهب في العراق، ص٤٣.

يُعد التّوحيد الركن الأول والأساس من أركان الدين المندائي، ويسمونه (اهدوثا وسهدوثا إد هي ربّا)، ومعناه: التوحيد والشهادة للحي العظيم[(١)]، ففي الصفحة الأولى من الكنزا ربّا توجد أول الصحف التي نزلت على آدم –حسب اعتقادهم- يذكر فيها توحيد الله وتمجيده بأسمائه وصفاته العظيمة[(٢)](

مفهوم الربوبية لديهم: يؤمن الصّابئة بوجود الله، ويصفونه بأنّه أزلي لا بداية له، ولا نهاية، يبقى ولا يفنى، وأنّه منزّه عن المادة ولا تناله الحواس، وأنه لم يلد ولم يولد، وهو علة جميع الموجودات. إلا أنهم يشركون مع الله مخلوقات أخرى يعتقدون بأنّ لها أعمال بالخلق والتّدبير والأمر، وكل مظاهر الربوبية التي هي من حق الإله وحده.

وهذه المخلوقات هي كائنات نورانية خلقها الله له، تمتلك قدرات غير عادية، أوكل إليهم أمر مساعدته في الخلق وتدبير شؤون الكون، وهم بمثابة نصف آلهة أو شبه آلهة، لأنّهم يلون الله في المنزلة والأهمية[(٣)]، حتى جعلوا لكل واحد منهم عرش ومملكة خاصة به[(٤)]،وهم كثر يفوق عددهم المئات أشهرهم (منداهي، هيبل زيوا، أباثر، بثاهيل..وغيرهم)، ولهم ألقاب يعرف من خلالها درجة قداستهم، فمنهم من يُلقب بالإثرا، ومنهم من يُلقب بملكا يعني (ملك)، فهم ليسوا على درجة واحدة من التقديس، والفرق بين اللقبين هو أنّ لقب الإثرا يعطى للكائنات الخيّرة فقط، بينما لقب ملكا يمكن أن يكون للكائنات الطّيبة والشّريرة[(٥)]، وفي معتقدهم أنّ العالم العلوي مكون من عالمي الأنوار والظلام، وأن الله يعلو فوق هذين العالمين، وقد خلق الله هذه الكائنات في عالم الأنوار بطريقة النّداء –دعاهم بإسمائهم فخلقوا [(٦)]، وقسّم خلقهم إلى أربعة دوائر، تمثل كل دائرة حياة يحكمها مجموعة من الإثريين، فخلق الله الحياة الأولى بفيض من إرادته وكلمته، وخلقت الحياة الأولى هذه الحياة الثانية والتي يحكمها الإثرا يوشامن، وخلقت الحياة الثانية الحياة الثالثة وحاكمها الإثرا أباثر، وبنفس الطريقة خُلقت الحياة الرابعة

(١) ينظر: الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، حسام هشام العيداني، ط١(مكتبة موسوعة العيون المعرفية – ٢٠١٦م) ، ص٣٣.

(٢) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول، التسبيح الأول (التوحيد).

(٣) ينظر: المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، الدكتور سعدون الساموك، ط١(دار وائل للنشر والتوزيع- عمّان- الأردن- ٢٠٠٦م)، ص ١٥٢- ١٥٣.

(٤) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الرابع، التسبيح الثالث،٣٤، ٤٠.

(٥) ينظر: الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، ٢٨، سحر الفضة..سر الماء، دراسة أنثوربولوجية لطائفة الصابئة في العراق، ص٨٧.

(٦) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ط٤(دار الندوة العالمية للطباعة والنشر- المملكة العربية السعودية- الرياض- ١٤٢٠هـ)، ٢/ ٧١٧.

وهي للإثرا بثاهيل، ويلي هذه الحيوات الجنّة[١]

يقول الدكتور قيس السّعدي: (الخالق الحي كان وراء الانبثاق الأول للخلق وكل ما حصل بعد ذلك بإرادته وبالأثريين والملائكة الذين أوكلت إليهم مهامهم المحددة، والحي هو الذي زودهم بقدرات لا تقهر)[٢] ، فهؤلاء هم الذين تقاسموا ربوبية الله والشّواهد على عملهم في الخلق كثيرة في الكنزا ربّا.

يؤمن المندائيون أنّ أول شيء خلق هو الـ(يردنا) أي: الماء الحي، ومنه انبثقت النّطفة التي انبثق منها كبير الإثريين (منداهي)، جاء في الكنزا ربّا في كتاب تكوين الماء الجاري: (هو أول ما خلق. من مكانه انبثق) ((٣)(، وتارة أخرى يقال أن منداهي هو من خلق يردنا العظيم[٤]، أمّا السّماء والأرض فقد قام بخلقها مجموعة من الإثريين والملائكة[٥]يقودهم الأثرا بثاهيل الذي رفع السّماء وبسط الأرض، ويذكر الكنزا ربّا في كتابه الأول تفصيل ذلك[٦]، وجاء أيضًا في الكنزا ربّا: (وسار إليها بثاهيل ومن معه من الملائكة. قال سأكثف هذه المياه لتصبح أرضًا... ونصبت الجبال وشقت البحار وترقرقت الجداول والأنهار، وصيح بالأرض فكانت الأعناب والأشجار والثمار وكانت البذور، والأسماك والطيور. وبث الحيوانات بثًا من كل جنس ذكراً وأنثى) [٧]، وبهذا صار لبثاهيل ومساعديه الدور الأكبر في عملية الخلق، ليس فقط الأمور التي ذكرت بل تعدى الأمر ليخلق الشّمس والنّار[٨]، وأوكلت إليه مهمة خلق آدم كذلك، فهبط بثاهيل إلى الأرض مع مساعديه من الملائكة وصنع هيكلاً لآدم من الطين الأحمر حتى أكمل تصويره وتركه ممدودًا على الأرض يتأمله هو ومن معه، ثم حاول بث النفس فيه لكنه عجز، وحاول

(١) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص١٠٠- ١٠٧.

(٢) ينظر: طقوس الصابئة المندائيين، رموز ومعان، الدكتور قيس مغشغش السعدي، ط١ (درابشا للنشر والطباعة- لمانيا- ٢٠١٥م)، ص٣٢.

(٣) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب ١٧، التسبيح الثالث، ١-٢، الكتاب ١١، التسبيح الثاني.

(٤) ينظر: النشوء والخلق في النصوص المندائية، الدكتور صبيح مدلول السهيري، ط١(بغداد – ١٩٩٤م)، ص١٢٦.

(٥) يقصد بالملائكة (ملائكة الكواكب، الذين ساعدوا بثاهيل في مهمة الخلق)، ينظر: النشوء والخلق في النصوص المندائية، ص١٤٣، ١٤٦.

(٦) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني، ٤٢- ٤٩.

(٧) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثالث عشر، ١٢٠. يقصد بالملائكة (ملائكة الكواكب، الذين ساعدوا بثاهيل في مهمة الخلق)، ينظر: النشوء والخلق في النصوص المندائية، الدكتور صبيح مدلول السهيري، ط١(بغداد – ١٩٩٤م)، ص١٤٣، ١٤٦.

(٨) جاء في الكنزا ربّا: (أمّا النار فبثاهيل كوّنها)، القسم اليمين، الكتاب الثالث عشر، ١١٩.

الملائكة أن ينفخوا فيه من روحهم ولم يفلحوا فتعب بثاهيل، ولأنّه كان يجهل كيفية هبوط الروح (نشمثا) قرر الصعود لمندادهي ليساعده، ففعل مندادهي برفقة مساعديه ذلك واستطاع ادخال الروح ليقوم آدم حيًا[١]، ويتفاخر مندادهي بتلك القدرة ويقول (أنا مندادهيي.. أنا الذي جعلته يتنفس الحياة)[٢].

فهذا بثاهيل الذي يقول عنه الكنزا ربّا (كل شيء بيده صنع وتكاثر) [٣] وبالرغم من هذا كلّه، يصف الكنزا ربّا الله بأنّه خالق كل شيء، وأنّه الذي قال للملائكة كوني فكانت، فهو صانع كل شيء جميل، وأنّ عملية الخلق وكل شيء لا يتم إلّا بأمره (بأمرك كان كل شيء, وبأمرك خلق كل شيء)[٤] .

فهذا هو إيمان الصّابئة المندائيين في أهم مظهر من مظاهر الرّبوبية.

ويؤكد الدكتور قيس مغشغش السّعدي –مندائي- أنّ الخالق الحقيقي حسب اعتقاد الصابئة هو الله الذي انبعث من ذاته، وبعد تكوين الحيوات الأربعة ومن فيها أوكل لبثاهيل مهمة خلق الأرض وما فيها، وخلق بثاهيل يعتبر خلقًا ناقصًا، لأنه ليس لديه قدرة كقدرة الحي في بث الروح، لذا ظهر عجزه في إحياء آدم- عليه السّلام- فأيده بمندادهي الذي اكمل الأمر من غير أن يعرف الجميع كيف تم إدخال الروح في الجسد[٥]

أمّا الرّزق فهم يؤمنون حقًا بأنّ رازقهم والذي يطعمهم ويسقيهم هو الله الحي[٦]، ولم ألحظ فقرات تتحدث بشكل ملفت وواضح عن قدرة الله على الإحياء والإماتة، سوى ذكر اسمين لله من جملة أسماء كثيرة، هما (المحيي، والمخلص)[٧]، والمخلص معناه الذي يخلص الروح من الجسد ويسمح بعودتها إلى عالمها الأصلي (عالم الأنوار) حيث النّعيم المقيم. فكانت أغلب الفقرات في مسألة الموت تركز في سرد سير عروج الروح (نشمثا) إلى عالم النّور، وتحررها من الجسد، فهي باقية لا تموت، والجسد يموت ويفنى، وحتى في هذا الأمر فهو الآخر كان

(١) هم: هيبل وشيتل وآنوش الملقبين ب(حماة نشمثا) أي حراس الروح، كانت مهمتهم حمل نشمثا لقداستها وهم يرافقون مندادهي لكي يصلون بها إلى جسد آدم، ينظر: النشوء والخلق في النصوص المندائية، ص١٤٨- ١٥٠.

(٢) ينظر: سحر الفضة..سر الماء، دراسة أنثوربولوجية لطائفة الصابئة في العراق، ص٦١، ٨٥، الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثالث التسبيح الثاني، ١-٢٠.

(٣) الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الثاني، التسبيح السادس، ١١.

(٤) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول، التسبيح الثاني، ٢٤- ٢٥.

(٥) ينظر: طقوس الصابئة المندائيين، رموز ومعان، ص٢٠.

(٦) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الأول، التسبيح الثاني، ١٠، الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثاني عشر، ١١٢.

(٧) ينظر: الصابئون المندائيون إيمانهم وعقيدتهم، ص٣٢.

بواسطة الإثريين، فقد جاء في القسم اليسار من الكنزا ربّا أنّ الذي أخرج روح حواء من جسدها وصعد بها إلى عليين كان هيبل زيوا[(١)]، ويتم ذلك بأمر الله (وصار بأمره يخلص نشماثا من الجسد. ويصعد بها إلى الواحد الأحد) [(٢)]

وخلاصة القول: أن سمة الرّبوبية الظّاهرة في دين المندائيين هي الاعتقاد بعمل الكائنات الإلهية وأنّ لها الدور الرئيس في نشوء الكون وتدبيره مع التمسك بالقول بخالق ومدبر واحد في آن واحد.

المطلب الثاني :عقيدة الصّابئة في الألوهيّة

يدعو الكنزا ربّا أتباعه المؤمنين به لعبادة الله الواحد الأوحد، وصرف أنواع العبادة جميعها لله من دعاء وتضرع وتوكل وسجود وصلاة.. وغيرها، جاء في كتابهم: (من يتجه للرب ينجيه، الرب لا ينبذه يومًا ولا يخزيه)[(٣)] ,فيكون مصير من يخلص عبادة الله ويتكل عليه ويتجنب الأثام والنواهي الفردوس (عالم الأنوار)، يقول الملك منادهي وهو ينادي أهل الدّنيا: (اعملوا ما أمركم به ربكم لتسعدوا، سبحوا، صلوا، اسجدوا، والله مجدوا، عسى أن تصعدوا)[(٤)]

ويقابل مفهوم التوحيد؛ الشرك، فإذا ذكرت الدعوة إلى التّوحيد لا بد من النهي عن الوقوع في الشرك، فحرّم الكنزا ربّا أتباع هذا الدين من عبادة ما دون الله من الآلهة الزائفة أو تأليه الرسل، والسّجود للأصنام، وتقديس الأوثان والصّور، واتباع الأهواء، وعبادة الكواكب والنّجوم والنّار، وحذر من اتباع أهل الدّجل الذين يقودونهم إلى تقديس الحجر والجن، فكل معبود دون الله الواحد الأوحد باطل[(٥)]. كذلك محرّم عليهم تناول الأطعمة التي تقدّم في المناسبات والطّقوس الشّركية[(٦)] والفقرات الواردة في هذا الشأن كثيرة من أمثلتها: (لا تسجد للشيطان ولا تعبد الأصنام والأوثان، من يسجد للشيطان فمصيره النار وبئس المنتهى وبئس القرار، خالدًا فيها إلى يوم الدين... لا تمجد الشمس والقمر، هو الله الذي أمر[(٧)] ,وغيرها.

(١) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص٤٠٣، الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الأول، التسبيح الثالث، ٣٣.
(٢) الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الأول، التسبيح الأول، ٨-٩.
(٣) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثاني، التسبيح الثالث، ٨٠-٨١.
(٤) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثامن عشر، (منادهي ينادي).
(٥) ينظر: الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، ص٢٠- ٢١.
(٦) ينظر: المصدر السابق، ص٢٤- ٢٥.
(٧) لكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول، ٢/ ٦٤- ٦٥، ٢٠٧- ٢٠٨.

وبالرغم من جميع هذه النّواهي إلا أن في كتابهم يمجّد الإثرا (منداهي) بشكل ملفت دون غيره من الإثريين[(١)]، وعندهم لا يكون المرء مندائيًا إلا إذا قبل بأن يجعله وسيطًا بينه وبين الله، كما أنّهم يعتقدون أنّه تجسّد في هابيل ويحيى –علية السلام [(٢)]

ويذكر اسمه بجانب اسم الله -فيما يساوي عندنا البسملة-، فاسمه يذكر قبل كل طقس أو عبادة يقوم بها المندائي، يقول المندائي قبل وضوئه وصلاته أو طقس التعميد أوغيره من العبادات والقربات: (اشم إد هيي واشم إد منداهيي مدخر) ومعناه: (اسم الحي واسم منداهي منطوقان عليّ)[(٣)] كما ورد في الكنزا ربّا أنّ حواء سبحت وتضرعت لمنداهي ليلاً نهارًا ليقوم بتخليصها من عوالم الشر الذين تكالبوا عليها بعد صعود آدم إلى عالم النور[(٤)].

كذلك حظي بتقديس من الأثريين الآخرين، فمنهم من يسجد له ومنهم من يستعين بقوته[(٥)]، بل وحتى الكائنات الحية في الدنيا تمجد اسمه وتباركه[(٦)]

المطلب الثالث: عقيدة الصّابئة في الأسماء والصّفات

إنّ لعقيدة الأسماء والصفات أهمية كبيرة لدى المندائيين، فهم يرشدون المؤمن الذي يريد معرفة الله بالتّدبر في أسمائه وصفاته الواردة في كتابهم المقدس، خاصّة أنّ معرفة الله عندهم لا تتم عن طريق الوحي أو الرّسل وإنّما عن طريق المعرفة التي تكمن في داخل الرّوح، فالإنسان يعرف الله بواسطة المعرفة الإلهية التي تحملها الرّوح المباركة[(٧)]، كما أنّ عقيدة الأسماء والصّفات هي التي تقودهم إلى توحيد الله بالعبادة (توحيد الألوهية)، فضرورة معرفة الله عندهم هي الأساس التي تستند العبادات عليه[(٨)]

(١) ربما لأنّ موطنه هو موطن الحي العظيم، فمكانه (ملكوت الحي)، ولقربه من الحي العظيم الذي سلّحه باليقظة والفطنة، وكان له الدور الرئيس في تعليم آدم العقيدة وأصول الدين، ينظر: أسماء الأعلام المندائية في الكنزا ربّا، عبد المجيد سعدون الصباحي، (رسالة ماجستير مقدمة لكلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد – ١٩٩٧م)، ص٤٠، ينظر: النشوء والخلق في النصوص المندائية، ص١٢٤.

(٢) ينظر: الصابئة المندائيون، الليدي دراور، ص ٢٦١، ٢٦٣.

(٣) جاء في النص: (غارقة في التسبيح تتضرع إلى منداهي في الليل والنهار...) تقول له: (لك تسبيحي وابتهالي)، الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول، التسبيح الثالث، ٢٣- ٢٨.

(٤) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الخامس، ١٩- ٢٠.

(٥) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب السادس، التسبيح الثالث، ٢١.

(٦) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص٧٠- ٧١.

(٧) ينظر: الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، ص٢٨.

(٨) ينظر: الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، ص٢٨.

لا تقبل الديانة المندائية حصر أسماء وصفات الله في عدد معين، لأنّهم يؤمنون بعدم محدودية الرّبّ[(١)].

أولًا: أسماء الله عند الصّابئة المندائيين.

يعتقد المندائيين أن اسم الله الحقيقي لا يعلمه أحد غير رجال الدين عندهم، فهو بمثابة اسم الله السّري، وقد أفصح عنه هرمز بن الملا خضر[(٢)]لليدي دراور، وهو: (برصوفا ربّا إد ايقاره) ومعناه: سيماء النور العظيم[(٣)]

أمّا أشهر الأسماء المستعملة في كتبهم، فهي:

١- هيي: ومعناه (الحيّ)، فهو مأخوذ من جذر الكلمة المندائية (حيا)، وكثيرًا ما نجد في كتبهم عبارة: (بشما إد هي) التي تعني (بإسمه الحي) [(٤)] وأحيانًا تستعمل لفظة (الحياة) كاسمًا من أسماء الله عندهم، فقد ورد غير ذي مرة بهذا اللفظ في الكنزا ربّا، ومنها قول كبير الأثريين الملك منادهي: (سجدت للحياة) [(٥)] ,واستعمل اسم الحيّ مضافًا كذلك نحو: (الحيّ الناصر، الحيّ الغافر، الحيّ المزكي)[(٦)] ، إلا أن الكنزا ربّا بين أن أسمى الأسماء وأغناها هو (الحيّ العظيم) [(٧)] وربما لهذا السّبب أفتتحت جميع تسابيح كتابهم بإسم (الحيّ العظيم).

٢- الاها: ومعناه (الله)[(٨)]

٣- قدماي: ومعناه القديم الأزلي[(٩)]

٤- ملكا إد نهورا: ومعناه (ملك الأنوار)[(١٠)]

---

(١) ينظر: الصابئة المندائيون، العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم وحتى اليوم، محمد نمر المدني، ط١(دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع – سوريا – دمشق- ٢٠٠٩م)، ص٦٣.

(٢) اسمه الديني (هرمز بر انهر) وهو من الصابئة المندائيين المتبحرين في علوم دينه، وهو من أمهر صاغة الفضة الصّابئيين، ينظر: الصابئة المندائيون، ص١٥٥.

(٣) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص ٨٥.

(٤) ينظر: مفاهيم صابئية مندائية، ١٨٦، ٢٧٣.

(٥) الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب السابع عشر، التسبيح السادس،٨٣.

(٦) الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الثاني، التسبيح الأول، ١٥.

(٧) باسم الحي العظيم، الأغنى والأسمى)، الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الثالث.

(٨) ينظر: مفاهيم صابئية مندائية، ص٢٠٧.

(٩) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص٨٥. عدّه صاحب الكتاب من الأسماء القديمة.

(١٠) ينظر: المصدرالسابق، ص٨٥. عدّه صاحب الكتاب من الأسماء الحديثة.

ويذكر حسام هشام العيداني – ناشط مندائي- نصًا من الكنزا ربّا باللغة المندائية: (كل شوما اقارا، الاها ربا راما، واشبيها)، ومعناه أنّ (كل أسمائه وقار، الله الربّ السّامي، سبحانه)، كما أنّه قام بجمع أسماء الله عندهم في لائحة وضعها في كتيب له، وقد تعدت أعدادها المئة، منها: الواحد، الاوحد، العزيز، الجبار، الديّان، الوهّاب، الغني، الرّحمن، الرّحيم، وغيرها[(١)]. وهكذا تبين أنّ جميع أسماء الله عندهم دلّت –في ظاهرها- على التّوحيد.

ثانيًا: صفات الله عند الصّابئة المندائيين.

يصف الكتاب المندائي الله بصفات لا يشبه وصف أتباع الدّيانات الأخرى –غير الإسلام-، وقد جمعت الصّحيفة الأولى من كتابهم أغلب صفاته[(٢)]، فقد ورد فيها في حق الإله أنّه أزلي قديم ليس له بداية ولا نهاية، وهو الأوّل والآخر، خالد إلى الأبد، ومنزّه عن سمات الحدوث، حيّ لا يموت، وليس له أب ولا ولد، ولا شريك له في سلطانه وملكه، لا يُرى ولا يحد، ولا تدركه الأبصار، قدرته عظيمة، وقوته لا مثيل لها، وعلمه واسع، أحاط بعلمه كل شيء، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، لا يشبه أحدًا من خلقه، وليس لنوره حدود، غريب ليس ك مثله شيء[(٣)]

ويمكن تقسيم صفات الله عندهم إلى قسمين:

١- الصّفات الذّاتية: هي الصّفات التي لم يزل الإله موصوفًا بها، تلازمه لا تنفكّ عنه، مثل: الأزلية، والقدم، والخلود، والحياة، والغنى، والعظمة، والعلو، والقدرة، والعلم، والسّمع، والبصر، وغيرها.. وقد ذكر صاحب كتاب المثولوجيا المندائية: أنّ في الكنزاربّا خمس صفات أساسية للحيّ العظيم هي: البهاء، والعطر، والصّوت، والكلام، الجمال[(٤)].

٢- الصّفات الفعلية: وهي الصّفات المرتبطة بالمشيئة، مثل: الرّحمة، والمغفرة، والرّأفة، والرّزق، والرّضا، والإستواء على العرش[(٥)]، وغيرها من الصّفات التي إن شاء الإله فعلها، لذا ارتبطت بالمشيئة[(٦)].

---

(١) ينظر: الصابئة المندائيون إيمانهم وعقيدتهم، ٣٠، ٣٢.

(٢) ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الأول.

(٣) : ينظر: الكنزا ربّا، القسم اليمين، الكتاب الرابع عشر، الترنيم الثالث، التسبيح الثاني، ١٤، الكنزا ربّا، القسم اليسار، الكتاب الثالث، التسبيح احادي عشر، ١٢.

(٤) ينظر: المثولوجيا المندائية، ص٩٠.

(٥) ورد في كتابهم: (قال الحي وهو مستو على عرشه)، الكنزا ربّا، القسم اليسار، التسبيح الأول،٣.

(٦) وقد استعملت هذا التقسيم نقلًا عن علمائنا المسلمين، وعلى سبيل التمثيل لا الحصر ينظر: شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، ط١(مدار الوطن للنشر- المملكة العربية السعودية- عنيزة- ١٤٢٦هـ)، ص١٠٥.

المطلب الرابع: رؤية نقديّة إسلامية

إنّ عقيدة المندائيين في الإله في ظاهرها عقيدة توحيد، فهم يؤمنون بوجود الله، ويسمونه بإسماء حسنى وصفات فضلى، لكن توحيدهم هذا لم يكتمل ولن يقبل وذلك لجعلهم الأثريين والملائكة يلون الله في المنزلة والقدرة حين نسبوا إليهم أفعالًا إلهية أشركوا من خلالها في ربوبية وألوهية الله الواحد. فقد جعلوا الخلق والتّدبير من أعمال هذه المخلوقات، والله تعالى ينسب هذا العمل لنفسه، جاء في محكم كتابه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(١)] ,بل ويدعونهم ويبتهلون إليهم ويستجيرون بهم من دون الله، والله تعالى ينهى عن عبادة غيره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.[(٢)]

ويمكن القول أنّ المندائية أرادت الجمع بين النقيضين؛ التّوحيد والشّرك، ويستحيل التوفيق بينهما، وهم إلى تعدد الآلهة أقرب منهم إلى التوحيد[(٣)]، فهم من جهة ينزهون الله عن كل نقص وعيب، ويصرون على أنّه خالق كل شيء، وأنّ كل شيء يكون بأمره، وينهى كتابهم من عبادة غير الله من الأصنام أو الأوثان أو الصور، أو النّجوم والكواكب والنّار وغيرها من مظاهر الوثنية، ومن جهة أخرى نجدهم يدعون الكائنات العلوية ويعتقدون بأنّ لها تأثير وأعمال إلهية. وقد نهى القرآن عن هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ ﴾[(٤)] والحقّ أنّهم أشركوا بالله في تقديسهم للملائكة، فجعلوا من بثاهيل وغيره من ملائكة الكواكب –حسب اعتقادهم- شركاء لله في ربوبيته، فزعموا أنّ بثاهيل خلق السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغيرها، والأرض وما فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[(٥)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾[(٦)] وهم يؤمنون بأنّ خلق آدم –عليه السلام- والبشرية أجمعين وبث الأرواح داخل الأجساد هو من عمل الأثريين، جاء في القرأن أنّ الخالق والمصور هو الله تعالى وحده : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[(٧)] فالله تعالى هو خالق

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.
(٢) سورة الجن: الآية ١٨.
(٣) ينظر: المثولوجيا المندائية، ٨٣- ٨٤، ٩٠.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٠.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٩.
(٦) سورة إبراهيم: الآية ٣٢.
(٧) سورة الأعراف: الآية ١١.

السماء رفعها بغير عمد، وجعل فيها الكواكب والأقمار، وأجرى فيها السّحاب، وخلق الأرض ونصب فيها الجبال وفجّر الأنهار، وخلق الإنسان ونفخ فيه من روحه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ ((١))

وفي السّنّة ما يرد عن اعتقادهم أنّ آدم خُلق من طين أحمر، عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمُ الأَبْيَضُ وَالأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ، وَالحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ» ((٣))

والحقيقة أنّ المندائيين خالفوا في هذا المشركين عامة، الذين وصفهم القرآن بأنّهم يؤمنون بأنّ خالق الكون وما فيه والإنسان هو الله الواحد لا غيره، وإنما جاء شركهم باتخاذهم وسائط من الحجر والخشب ليقربوهم إلى الله زلفى، أي أنّ شركهم بدأ من توحيد الألوهية وليس الرّبوبية، لذا قيل أنّ دين المندائية خليط بين التّوحيد القديم والوثنية القديمة وهذا باعتراف بعض اتباع هذه النحلة((٤))

ولا يخلو دينهم من شرك الألوهية أيضًا، فأي دين نود معرفة نقاء توحيده نتجه إلى جانب الألوهية بجميع مظاهرها فيه، والنظر في عباداتهم وطقوسهم، لأنّ حقيقة التوحيد تتجلى في صرف العبادة بجميع أنواعها لله وحده((٥))، وهم يتجهون للعبادة إلى نجم شمالي تارة، ويباركون اسم منداهي بجانب اسم الله في افتتاحية جميع عباداتهم وطقوسهم، ويستجيرون بالأثريين والملائكة، ويسبحون بأسمائهم تارة أخرى.

وقد أخبر الله في كتابه أن الملائكة ستتبرأ منهم في قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ ﴾ ((٦))

وجاء في السّنة أيضًا أنّ الله يتبرأ ممن يشرك في عبادته أحد من خلقه، فقد ورد في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله ﷺ " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أنا خَيْرُ الشُّرَكَاءِ، مَنْ

(١) سورة الرعد: الآية ١٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، أول مسند الكوفيين، أبي موسى الأشعري، حديث رقم (١٩١٧٠).

(٤) ينظر: إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ط٥(نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة – مصر- ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م)، ص٩٠، الصابئة المندائية وموقف الإسلام منها، د. سارة بنت حامد العبادي، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٥- ١٤٣٢هـ)، ص١٥٠.

(٥) ينظر: الصابئة المندائية وموقف الإسلام منها، ص١٤٧.

(٦) سورة سبأ: الآية ٤٠- ٤١.

عَمِلَ لِي عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأنا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ((١)) ,ويتبين خسرانهم يوم القيامة حين تتبرأ معبوداتهم منهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ ((٢))

ويدخل في نقد صفات الله عندهم إنكارهم للنبوة، لأنّ بإنكارهم النبوة يعني أنهم ينكرون أنّ الله كلّم الأنبياء –البشر-، فهم يرفضون أن يكون الوسيط بين الله والناس رسولًا من البشر، ويعتقدون أن هذا الوسيط يجب أن يكون مخلوق فوق البشرية، ولا يمكن أن يصل كلام الله إلى البشر إلا بواسطة هذا المخلوق من غير وسيط بشري((٣)). وقد فارقوا الحنيفية في هذا، يقول الدكتور محمد إبراهيم الفيومي أنّ الوساطة هي سمّة جميع الأديان، وهي على أنواع: الوحي و الكلمة –في النصرانية-، أو الوساطة المادية كالحجر والخشب –الأصنام والأوثان-، أو وساطة الفيض الإلهي الموجود داخل الروح ويصل إليه العقل الفعّال –وهو ما يؤمن به المندائيون- ، فإذا كانت هذه الوساطة تقود الناس إلى الحق فهي وساطة غير شركية، أم الوساطة التي يقوم فيها الوسيط بدور الإله فهي وساطة شركية((٤)).

ومعنى ذلك أنّهم جعلوا كلام الله مقتصر على الأثريين والملائكة دون البشر، والله عزّ وجلّ أثبت لنفسه تكليمه للبشر، ويكون كلامه مع خواص خلقه من الأنبياء والرسل- عليهم السّلام- على ثلاثة وجوه((٥))

(الأول): الوحي الذي بمعنى إلقاء في القلب من غير ملك.

(الثاني): ارسال ملك كجبريل وغيره من الملائكة –عليهم السّلام-.

(الثالث): أن يكون كلامه شفاهة((٦))من وراء حجاب، وهو ما حدث مع موسى –عليه السّلام-.

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (٧٩٩٩).

(٢) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٣) ينظر: إبراهيم أبو الأنبياء، ص ٨٦-٨٩، الصابئة المندائية وموقف الإسلام منها، ص١٥١

(٤) ينظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، د. محمد إبراهيم الفيومي، ط٤(دار الفكر العربي- مصر- القاهرة- ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص٢٣٠- ٢٣١.

(٥) ينظر: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، ص ١٦٠١.

(٦) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر،خرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ط٢(مكتبة ابن تيمية- القاهرة – ١٣٧٤هـ)، ٩/ ٤٠٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[1]، ففي هذه الآية إثبات لصفة الكلام لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وعظيم سلطانه.

(١) سورة الشورى: الآية ٥١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

انتهيت بعون الله وتوفيقه وفضله من إتمام هذا البحث وإكماله، وأرجو أن أكون قد وفقت فيه، وأسأل الله أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج طيبة تلخص أهم ما جاء في هذا البحث وهي:

١- إنّ معنى الصابئة المندائيين هو: (المتعمدون العارفون الدين الحق)، فإن معنى (صبا) الآرامي هو (اغتسل أو ارتمس أو غطس)، ومعنى (مندا) الآرامي هو (المعرفة العليا).

٢- كتابهم المقدس هو الكنزا ربا، ومعناه (الكنز العظيم) وهو حسب اعتقادهم صحف آدم –عليه السلام- وينسبونه إليه وقد أضيفت إليه تعاليم يحيى –عليه السلام- وهو مجدد دينهم ومعلمهم الكبير.

٣- تتلخص سمة الربوبية في اعتقادهم بالإله في إيمانهم بأنّ الله أوكل مهام الخلق ونشوء الكون وتدبيره إلى كائنات نورانية مقدسة (الأثريين) مع تمسكهم بالقول أن خالق هذا الكون ومدبره هو الحي.

٤- بالرغم من اثباتهم أسماء وصفات تليق بالإله الحي إلا أنهم صرفوا العبادات إلى غيره، وكان للأثر الكبير (منداد هيي) الحظ الأكبر من التمجيد والداء والاستعانة والاستغاثة وغيرها من صور الألوهية.

والحمد لله ربّ العالمي والصلاة والسّلام على خاتم النبيين وسيّد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، ط٥(نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة – مصر- ١٤٢٥ هـ -٢٠٠٥م).

٢- الأديان والمذاهب في العراق، رشيد الخيّون، ط٢(منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا – بغداد –٢٠٠٧م).

٣- أسماء الأعلام المندائية في الكنزاربا، عبد المجيد سعدون الصباحي، (رسالة ماجستير مقدمة لكلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد -١٩٩٧م).

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط٢ (التراث العربي- الكويت- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

٥- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، الشيخ حسين بن محمد الديار بكري، (مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع- بيروت- بلا.ت).

٦- تاريخ الفكر الديني الجاهلي، د. محمد إبراهيم الفيومي، ط٤(دار الفكر العربي- مصر- القاهرة-١٣١٥هـ -١٩٩٤م).

٧- تعاليم دينية لأبناء الصابئة، غضبان رومي، (مطبعة دار الجاحظ- بغداد-١٩٧٣م).

٨- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر،خرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، ط٢(مكتبة ابن تيمية- القاهرة-١٣٧٤هـ).

٩- التنبيه والأشراف، أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت٣٤٥هـ)، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (مكتبة الشرق الإسلامية- القاهرة-١٣٥٧هـ-١٩٣٨م).

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، ط١(دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية-١٤٢٢هـ).

١١- دراسة أنثوربولوجية لطائفة الصابئة في العراق، سحر الفضة وسر الماء، صادق شهيد الطائي، ط١(المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة-٢٠١٠م).

١٢- دور المستشرقة دراور في ديانة الصابئة المندائية من خلال كتابها ومواقع الصابئة المندائيين، الدكتورة: حياة بنت سعيد باأخضر، (بحث نُشر في مجلة جامعة الأندلس، العدد,٦, ٢٠١٥هـ)

١٣- الصابئة المندائية وموقف الإسلام منها، د. سارة بنت حامد العبادي، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٥_١٤٣٢هـ).

١٤- الصابئة المندائيون دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين، سليم البرنجي، ترجمة جابر أحمد، (دار الكنوز الادبية –بيروت-١٩٩٧م).

١٥- الصابئة المندائيون، العقيدة والتاريخ منذ ظهور آدم وحتى اليوم، محمد نمر المدني، ط١(دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع – سوريا – دمشق-٢٠٠٩م).

١٦- صّابئة المندائيون، الليدي دراور، ترجمة: غضبان رومي، نعيم بدوي، ط١ (مطبعة الإرشاد- بغداد-١٩٦٩م).

١٧- صابئة حران وإخوان الصفا، محمد عبد الحميد الحمد، ط١ (الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع- سورية- دمشق-١٩٩٨م).

١٨- الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، حسام هشام العيداني، ط١(مكتبة موسوعة العيون المعرفية- ٢٠١٦م).

١٩- الصابئون المندائيون، إيمانهم وعقيدتهم، حسام هشام العيداني، ط١(مكتبة موسوعة العيون المعرفية-٢٠١٦م).

٢٠- طقوس الصابئة المندائيين، رموز ومعان، الدكتور قيس مغشغش السعدي,ط١(درابشا للنشر والطباعة—لمانيا-٢٠١٥م).

٢١- كنزا ربّا، الكنز العظيم، الكتاب المقدس للصابئة المندائيين، ترجمة: نخبة من ابناء الطائفة المندائية، (شركة الديوان للطباعة – العراق-١٩٩٩م).

٢٢- المثولوجيا المندائية، خزعل الماجدي، (دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع- سورية- دمشق-١٤٣٠-٢٠١٠م).

٢٣- مجلة المقتطف، العدد الثاني، مقال بعنوان: (الصابئة والصابئون) نشر في تاريخ ١فبراير ١٨٩٩م).

٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل(١٦٤هـ-٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١(مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان- ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٢٥- المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن، الدكتور سعدون الساموك، ط١ (دار وائل للنشر والتوزيع- عمّان- الأردن-٢٠٠٦م).

٢٦- مفاهيم صابئية مندائية، ناجية مراني، ط٢ (مطبعة شركة التايمن للطبع والنشر- بغداد-

١٩٨١م).

٢٧- موسوعة المستشرقين، الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط٣(دار العلم للملايين- بيروت- لبنان-١٩٩٣م).

٢٨- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ط٣(دار الندوة العالمية للطباعة والنشر- المملكة العربية السعودية- الرياض-١٤٢٠هـ.

٢٩- النشوء والخلق في النصوص المندائية، الدكتور صبيح مدلول السهيري، ط١ (بغداد-١٩٩٤م).